مداخل التفسير عند المفسرين

"دراسة تحليلية تأصيلية"

إعداد
د. طه عابدين طه حمد

د. طه عابدين طه حمد

- أستاذ مشارك بكلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى.
- حصل حصل على درجة الماجستير من قسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين من جامعة أم درمان الإسلامية في السودان ، بحث تكميلي بأطروحته: (قرار المرأة في بيتها وضوابط خروجها في ضوء القرآن الكريم).
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين من جامعة أم درمان الإسلامية في السودان بأطروحته: (الأسس العسكرية في القرآن الكريم).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي خصنا بخير كتاب، جعله للحياة نوراً مبيناً، وللرسالةِ برهاناً ودليلاً، وللمؤمنين ملاذاً أميناً ، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرةِ الرد، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به رشد، قال تعالى حاكياً عن الجن قولهم: ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴾ (الجن:١-٢).

والصلاةُ والسلامُ على الذي أنزلَ على قلبِهِ الطاهرِ الحق المبين، والصراط المستقيم ، المشرفُ بقولهِ تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾(المائدة: ٤٨) ، وعلى آلهِ الطاهرين ، وصحبهِ الصادقين ، ومن سارَ على دربِهم إلى يومِ البعثِ والدين.

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

١ ــ القرآن الكريم مصدر الهدى والرحمة للناس ، وهو يمثل عقيدة الأمة ، ومنهجها ، وفكرها ، وهو سر قوتها ، وصمام أمنها ، وقائدها إلى الخير . وهو الذي بنى حضارة الأمة ومجدها يوم أن أخذوه علماً وعملاً، ففهموا خطابه ، وتحولوا لهديه ، وهو الذي يبني مجدها في حاضرها ومستقبلها متى ما أحسنت الأمة التعامل معه ، وقد حظي القرآن بعناية فائقة من علماء الأمة في السعي لتلمس هداياته واكتشاف حكمه وأحكامه ، مما يستوجب علينا دراسة تلك الجهود دراسة تحليلية وفهمها ليس فقط في مناهجها

وطرقها ، واتجاهاتها ، بل حتى في المداخل التي سلكها كل مفسر في تفسيره للآيات والسور ، لأنها تعتبر عنصراً مهماً في معرفة قيمة التفسير وأثره العلمي ، ومن هنا كانت مداخل التفسير ومكوناته من أدق الموضوعات العلمية التي تستحق النظر والدراسة والمراجعة .

٢ ــ المتتبع لحركة التفسير عبر العصور يجد هنالك تطوراً مطرداً في كيفية دراسة المعنى من حيث مداخل التفسير وعناصره التي تناولها العلماء ــ من مفسر لآخر ، ومن عصر لآخر ـ فبعضهم نظر في القرآن الكريم من مدخل واحد من مداخل التفسير ، كمن نظر إلى المفردات والألفاظ الغريبة، أو المناسبات ، والبعض الآخر نظر إليه من عدة مداخل مع تركيزه على جانب معين تميز فيه ، والملاحظ أنه كلما تعددت مداخل التفسير ، وتطورت آليات الدراسة، وتوسعت ثقافة المفسر ؛ توسع فهمه لمعاني القرآن وعلومه ؛ ولذلك نجد أن المعاني التي فهمها السلف الصالح لم تتوافر لغيرهم ؛ لتمكنهم من علوم التفسير ، وتنوع مداخله عندهم ، وقد روى الأعمش عن أبي وائل: استخلف عبد اللهّ بن عباس ــ رضي الله عنهما ــ على الموسم، فخطب الناس، فقرأ في خطبته سورة البقرة ـ وفي رواية: سورة النور ـ (ففسرها تفسيرًا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا)[١].

٣ ــ الطريقة التي سلكها العلماء في تفسير القرآن الكريم من خلال علومه،

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري (١/ ٨١) ، وتفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (١/ ٥٦) .

ومداخل كل مفسر للتفسير اختلفت وتنوعت بصورة كبيرة علمياً وعملياً ليس فقط في المداخل ؛ وإنما فيما يقدم ويؤخر من تلك المداخل في خطوات الدراسة حسب المكونات الثقافية لكل مفسر ، وتعليلاته العلمية ، فمنهم من يبدأ مدخله في دراسة الآية أو السورة بدراسة الألفاظ ، ومنهم من يبدأ بأحوال النزول ، ومنهم من يبدأ بما جاء عن فضائل الآية أو السورة ، ومنهم من يبدأ بمناسبة الآية لما قبلها ، حتى أصبح الدارس اليوم لعلم التفسير والناهل من معينه، يحتار بعد معرفته لعلوم التفسير ومناهجه وطرقه ، وتزوده بأدوات المفسر، في ما الذي يبدأ به من مدخل في دراسة الآية أو السورة للوصول للمعنى وفق خطوات عملية تراعي الأولويات، فجاءت هذه الدراسة تبحث كذلك عن أولويات تلك المداخل التي يحسن أن تتبع في تفسير الآية أو السورة ؛ حتى نأتي التفسير من بابه الأمثل، فهل يبدأ المفسر بدراسة المعنى الإجمالي ؟ أم بدراسة معاني الكلمات ؟ أم دراسة الأحكام ؟ فما الخطوات العملية في التفسير؟

٤ ـــ الحاجة الماسة اليوم لمن يدرسون التفسير إلى منهجية تتكامل فيها كذلك تلك الجهود السابقة ، ليس فقط في معرفة المداخل ، وأولوياتها ، بل حتى في عددها وكيفية توظيف كل مدخل ، وأثر ذلك في فهم المعنى وحسن بنائه ، فإن التفسير بالرأي وضع العلماء ضوابطه ولم يضعوا كيفيات محددة لدراسة المعنى ، فقد تجد عند هذا العالم من المداخل والخطوات والكيفيات ما ليست عند غيره ؛ ومن هنا كان لابد لمن يدرس التفسير اليوم أن يكون ملماً بتلك الجهود المباركة التي تكاملت عبر التاريخ من خلال

تلك الجهود المتنوعة ؛ ويحسن توظيفها اليوم في التفسير ؛ وهي جهود لم تجمع وتطبق في دراسة واحدة متكاملة . فجاء هذا البحث مستقرءاً للجهود السابقة في التفسير، وواقفاً على المتفق حوله والمختلف فيه من مداخل التفسير، وما أكد عليه العلماء من تلك المداخل وأولويتها وكيفياتها للتوصل إلى منهجية علمية في دراسة الآية أو السورة لعلها توصل إلى هدايات القرآن بصورة مثلى . فالأمة اليوم تبحث عن تفسير يحسن فيه مدخل التفسير، وتُحكم فيه خطوات الدراسة ، ويراعي فيه أولويات العلوم الخادمة للتفسير وحسن توظيف كل مدخل ، بما يخدم المعنى بصورة متكاملة، ولا يشتت الذهن أو يصرفه عن الهداية والعمل . مع علمي أن مداخل التفسير كثيرة ، وعلومه متنوعة ، والأولويات أحياناً متداخلة ، وأساليب توظيف المداخل متشعبة ، وانتقاء منهج متكامل متوازن أمر ليس بالسهل ؛ ولكنها رؤية نحو الأمثل وليس الأكمل .

ثانياً : مشكلة البحث :

لقد درس العلماء طرق تفسير القرآن الكريم من حيث : تفسير القرآن بالقرآن ، والقرآن بالسُّنة ، والقرآن بأقوال الصحابة والتابعين ـ وسمي فيما بعد بالتفسير بالمأثور ـ وتفسير القرآن باللغة والاجتهاد ـ وسمي التفسير بالرأي ـ وبينوا خصائص كل طريقة وضوابطها .

كما درسوا اتجاهات التفسير بالرأي من حيث: الاتجاه الفقهي، واللغوي، والاجتماعي، والكلامي وغيرها ، وتحدثوا عن خصائص كل اتجاه ومن اعتنى به من المفسرين ؛ لكن المداخل والخطوات التي تمَّ من خلالها تفسير

الآيات والسور لم تجد حظها الكافي من الدراسة ، خاصة وهي مداخل متعددة، وخطوات متباينة في أولوياتها وعددها ، وكيفية توظيف كل مدخل من مفسر لآخر ، ومن عصر لآخر ؛ لأننا من خلال دراستها نستطيع بناء رؤية علمية محكمة في التفسير، نستفيد من جميع المداخل التي سلكها العلماء، والطريقة المثلى في تطبيقها ؛ لأنه بقدر حسن اختيار مداخل تفسير الآية والسورة ، وإحكام أولويات خطوات الدراسة وعددها وحسن توظيف كل مدخل بقدر ما يحسن المفسر بناءه لتفسيره ، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لمعالجة السؤال العام عن : كيف يمكن من خلال استقراء الجهود السابقة تأصيل طريقة منهجية لتناول التفسير يحسن من خلالها المفسر المداخل ، وأولوياتها ، وعددها ، وحسن توظيف كل مدخل؟

ثالثاً : أهداف البحث :

هدف البحث هو دراسة مداخل التفسير عند المفسرين ؛ بهدف تأصيل رؤية علمية عن عناصر الدرس التفسيري تلبي حاجة اليوم ، بحيث تراعي حسن اختيار المداخل في تفسير الآية أو السورة التي أكد عليها العلماء من خلال دراساتهم المتنوعة في التفسير، وأولويات تناول عناصر الدرس التفسيري في أثناء دراسة الآية أو السورة ، وحسن توظيف كل مدخل للوصول لهداية القرآن الكريم بصورة مثلى ومتوازنة ، وحتى نحقق هذا الهدف جاء هذا البحث بعنوان: "مداخل التفسير عند المفسرين ، دراسة تحليلية تأصيلية ".

رابعاً : الدراسات السابقة:

لم أقف ــ في حدود علمي واطلاعي ــ على بحث أو كتاب تحدث عن مداخل التفسير عند المفسرين ، أو عالج فكرة هذا الموضوع وفق هذا المنهج الاستقرائي التأصيلي الذي سلكه هذا البحث ، الذي هدف الباحث منه دراسة المداخل والخطوات التي درس من خلالها علماء التفسير المعنى ، وأولويات تلك المداخل ، وحسن توظيفها .

وقد فتح الله تعالى عليّ بفكرة هذا البحث بعد قراءة متأنية في أغلب ما كتب في مقدمات التفسير ، ومن دراسات عن مناهج المفسرين ، وممارسة طويلة للتفسير تعلماً وتعليماً وقراءة واستماعاً قاربت ربع قرن من الزمان . وهو جهد متواضع في موضوع دقيق كبير آمل أن يسهم في خدمة الأهداف التي رسمت له ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

خامساً : منهج البحث وأداته :

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والاستنباطي ، وكانت أداته تحليل المحتوى للأدلة ذات الصلة بالموضوع ، التي تم جمعها من خلال ما كتبه العلماء في هذا الفن بغية الوصول إلى أهداف البحث .

سادساً : منهج الباحث :

سلكتُ المنهج العلمي المتفق عليه ، إلا أني اكتفيت في كل نقطة بما يوضِّح فكرتها، وأعرضت عن التعريف بالعلوم والمداخل التي تمَّ التحدث عنها ؛ لأنها علوم ومداخل معلومة لا تخفى على أي مشتغل بالتفسير، كما أعرضت عن ترجمة الأعلام؛ لأن أغلبهم من أئمة التفسير المعروفين حتى

أوفر مساحة لأصل الموضوع الذي هدفت إليه، واكتفيت في كل فكرة بالأمثلة التي توضحها خشية الإطالة غير المرغوب فيها في مثل هذه البحوث .

ثامناً : هيكل البحث :

قسمت هذا البحث إلى مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة ، جاءت مباحثه على النحو التالي :

المبحث الأول: اتجاهات مداخل التفسير عند التفسير .

المبحث الثاني: المنهج المقترح في تناول مداخل التفسير .

وفي ختام هذه المقدمة فإني أسأل الله الإخلاص والتوفيق ، وأرجو بفضله البركة والقبول ، باسمه ابتدئ ، وعليه أتوكل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

المبحث الأول

اتجاهات مداخل التفسير عند التفسير

المتتبع لمسيرة التفسير من حيث النشأة والتطور بعد القرون المفضلة التي تكاملت عندهم آليات الفهم ، يجد تطوراً ملوساً في طرق التفسير واتجاهاته ومداخله وخطواته ، حيث بدأ العلماء في التفسير ببيان المفردات والغريب والمعاني بالمأثور عن الصحابة والتابعين ، ثم مناقشة المأثور والإضافة عليه ، ثم توسع جانب الدراية شيئاً فشيئاً حسب مؤهلات كل مفسر وثقافته، ومؤثرات عصره، فأصبح في الغالب كل عالم يفسر القرآن بحسب العلم الذي برع فيه ، حتى أخذ التفسير اتجاهات متباينة بسبب اهتمام كل مفسر وثقافته الفكرية والمذهبية والعقائدية، فالنحوي اهتم بجوانب الإعراب ووجوهه ، والعقلي اهتم بأقوال الحكماء والفلاسفة ، والشبه التي يثيرونها والرد عليها ، والفقيه اهتم باستنباط الأحكام الفقهية من أدلتها ، والتاريخي اهتم بالقصص ، وأخبار الأمم السابقة ، وهكذا تباينت الاتجاهات وتنوعت.

كما اختلفت طرق التفسير واتجاهاته من مفسر لآخر بحسب اهتمام كل مفسر وأهدافه وثقافته ، كذلك اختلفت أساليب التفسير والخطوات العملية في دراسة الآية أو السورة من مفسر لآخر من حيث مداخل التفسير وأولوياته ، والتوازن في تناول عناصر التفسير، حسب نظرة كل مفسر للمداخل والأولويات التي يُدرس بها التفسير، مما جعل كل تفسير يتميز بمنهج خاص قلّ ما يتطابق مع غيره، وفي الغالب تجد من كتبوا عن مناهج

المفسرين يلاحظون على كل مفسر تميزه في جوانب من هذه العناصر ، وعدم استيعابه لبعض الجوانب الأخرى من خلال طريقته التي انتهجها في تفسيره . فبعد الاستقراء لكثير من التفاسير السابقة نجد أن جهود العلماء في كيفية دراسة الآية أو السورة في الجملة تنقسم من حيث المداخل إلى قسمين ، وهما :

القسم الأول : علماء حاولوا تفسير القرآن الكريم من خلال علم واحد من علوم التفسير، وهو المدخل الذي قصد المفسر خدمة علم التفسير من خلال دراسته .

والقسم الثاني : علماء فسروا القرآن من خلال علوم متنوعة ومداخل متباينة ؛ ولكن زاد اهتمامهم بعلوم دون أخرى ، وبمدخل دون آخر حسب ميول كل عالم وتخصصه ، فإليك الحديث عن بيان كل قسم بشيء من التفصيل .

القسم الأول : التفسير من خلال علم واحد من علوم التفسير :

جعل بعض العلماء دراستهم في التفسير قائمة على علم واحد من علوم التفسير ، كان هو مصدر اهتمامهم، وعليه تنبني دراستهم ومداخلهم في التفسير، كالكتب التي جعلت مدخلها في التفسير واهتمامها منصباً في دراسة غريب القرآن الكريم الذي يعتبر من أول علوم التفسير وأهمها وأكثرها تأليفاً، قال السيوطي ــ رحمه الله ــ: « أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون »[1] مثل ذلك كتاب: تفسير غريب القرآن " لابن قتيبة ، وكتاب

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٨٤) .

"المفردات في غريب القرآن " لأبي القاسم بن الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني ، وكتاب " تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب" ، للشيخ أبي حيان الأندلسي ، وكتاب "تذكرة الأريب في تفسير الغريب"، لأبي الفرج ابن الجوزي ، وكتاب "تفسير غريب القرآن" ، لسراج الدين أبي حفص عمر بن أبي الحسين بن أحمد المعروف بابن الملق ، وغيرها فهذه كتب في تفسير وشرح مفردات القرآن الكريم قلما تتعرض لغير بيان معاني المفردات. ومنهم من جعل دراسته في التفسير متعلقة بفرع من فروع علم الألفاظ ، وهي الكتب التي اختصت بدراسة الألفاظ القرآنية التي تعدد ذكرها في القرآن مع اختلاف معانيها بما يسمى بعلم الوجوه والنظائر، مثل كتاب: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم " لمقاتل بن سليمان البلخي ، والتصاريف : تفسير القرآن مما اشبهت أسماؤها وتنوعت معانيها " ليحيى ابن سلام ، والأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها " للثعالبي ، و" الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز" ، لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني ، وغيرها .

ومنهم من جعل دراسته في التفسير مختصرة في المناسبات بين الآيات والسور ، وكشف ما في ذلك من لطائف وأسرار لها أثرها العظيم في فهم المعنى والربط بين الموضوعات المتنوعة في السورة الواحدة ، وبين السور ، مثل كتاب : " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور "، لبرهان الدين البقاعي ، وكتاب: البرهان في تناسب سور القرآن لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، وكتاب : تناسق الدرر في تناسب السور ، لجلال الدين السيوطي .

ومنهم من جعل مدخله وهمه منصباً في دراسة المعنى العام بدون تعرض للجوانب الأخرى إلا بصورة نادرة مثل كتاب " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، وزبدة التفسير، للأشقر ، وصفوة البيان لمعاني القرآن لحسنين مخلوف .

ومنهم من جعل مدخله وجهده في التفسير متوجهاً نحو الأسئلة والأجوبة التي تتعلق بغرائب آي التنزيل مثل كتاب تفسير الرازي المسمى بـ "أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل"، لمحمد بن أبي بكر الرازي حيث ذكر فيه ما يزيد عن ألف ومئتي سؤال في التفسير مع إجابتها مرتبة حسب سور القرآن الكريم ، وكتاب فتح الرحمن شرح ما يلتبس من القرآن ، لشيخ الإسلام زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري وغيرها . وهكذا سار بعض العلماء فحاولوا أن يخدموا التفسير من خلال المدخل الذي سلكوه وأرادوا معالجته فقط دون التعرض للأوجه والمداخل الأخرى .

القسم الثاني: التفسير من خلال علوم متنوعة من علوم التفسير:

هنالك جهود للعلماء في تفسير القرآن الكريم اهتموا من خلالها بعلوم متنوعة من علوم التفسير حاولوا توظيفها في دراسة الآية أو السورة ، ولكن هؤلاء العلماء تباينوا في مداخلهم للتفسير من خلال تلك العلوم ، وفي حجم العناية بكل علم ، وكيفية توظيفه ، وفيما يقدم من مداخل التفسير وعلومه وما يؤخر في أثناء ممارسة دراسة الآية أو السورة ، حسب ما انطبعت عليه شخصية كل مفسر وثقافته ، والظروف التي أثرت عليه غالباً ، فنجد الزمخشري – رحمه الله – مع أن مدخله غالباً في التفسير يبدأ

بشرح الألفاظ وبيان معاني الكلمات ، ولكن همه كان متوجهاً نحو أسلوب الكلام وما اشتمل عليه من الجوانب البلاغية والدلالات الخفية التي يعرف من خلالها عظمة الكلام، وخصائصه التي تميزه عن غيره، مع تناوله لعلوم أخرى في التفسير . وفخر الدين الرازي – رحمه الله – مع أن مدخله غالباً ببيان مناسبة السورة مع غيرها أو الآيات بما قبلها[1] ، ولكن نجد همه كان متجهاً نحو بيان أصول العقائد ومقارعة الزائغين وإيراد أسئلتهم وإشكالاتهم والرد عليها ، والاستطراد في العلوم الكونية والرياضية والفلسفية وعلم الكلام . والقرطبي ــ رحمه الله ــ مع أن مدخله للتفسير حول النزول والفضائل كما يقول:« وأول مبدوء به الكلام في نزولها وفضلها وما جاء فيها ، وهكذا كل سورة إن وجدنا لها ذلك»[2]؛ ولكن كان همه إبراز الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات، مع اهتمامه بالعلوم الأخرى، قال في مقدمته: « وأضرب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين ؛ إلا ما لابد منه ولا غنى عنه للتبيين ، واعتضت من ذلك تبيين آي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها ، وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آية تتضمن حكماً أو حكمين فما زاد ، مسائل نبين فيها ما تحتوي عليه من النزول والتفسير الغريب والحكم، فإن لم تتضمن حكماً

(١) انظر مثال ذلك : بداية تفسير لسورتي الفلق والناس ، وكذلك في الربط بين الآيات سورة البقرة .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٥٢) .

ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل هكذا إلى آخر الكتاب»[١] ، وأبو حيان الأندلسي – رحمه الله – مع أن مدخله في التفسير دراسة الألفاظ حيث يقول:« وترتيبي في هذا الكتاب : أني أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب »[٢] ؛ ولكن كان همه جوانب الإعراب وبيان وجوهه المحتملة . ومحمد رشيد رضا – رحمه الله – في تفسيره المنار مع أنه جعل مدخله ببيان وقت نزول السورة ، وذكر خلاصة عن مضمونها ووجه اتصالها بما قبلها[٣]؛ ولكن كان همه منصباً نحو معالجة الواقع ، وبيان سنن الله تعالى في الخلق والاجتماع البشري ، وأسباب رقي الأمم وتدليها ، وقوتها وضعفها، مع التعرض للفوائد التي تلبي حاجة العصر من خلال التفسير، وفي هذا يبين بأنه استطرد في "تحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومهم من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس، وأستحسن للقاري أن يقرأ الفصول الاستطرادية الطويلة وحدها في غير الوقت الذي يقرأ فيه التفسير، لتدبر القرآن في نفسه، وفي النهوض بإصلاح أمته، وتجديد شباب ملته»[٤]، وابن

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١/ ٣) .

(٢) تفسير البحر المحيط لمحمد الأندلسي (١/ ١٠٣).

(٣) انظر : مقدمة تفسيره لسورة البقرة ، وآل عمران والنساء والمائدة وغيرها .

(٤) تفسير المنار (١/ ٢٠) .

عاشور -رحمه الله - وإن كان مدخله بعد المقدمات التي تتعلق باسم السورة وفضلها وزمان نزولها يتكلم عن محتويات السورة وأغراضها ؛ ولكن كان مع اهتمامه بجوانب البلاغة اهتمامه الكبير بالمناسبات، فقد قال في مقدمة تفسيره: «وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع» [1]، وهكذا كان التباين بينهم في وجوه التفسير .

كما أن كيفية اختيار وتطبيق المداخل اختلفت من عالم لآخر، فمنهم من حدد طريقته ووصف منهجه في مقدمته ثم حاول تطبيقه من خلال تفسيره قدر الإمكان ، وهذا هو الغالب في كتب التفسير، وهنالك تفاسير لم تلتزم بطريقة واحدة في أسلوب التفسير، خاصة تلك التي جمعت من دروس بعض العلماء ، لأنها تأثرت بأحوال المستمعين ، واختلاف الأحوال التي فسر بها المفسر، ومن هنا تنوعت المداخل التفسيرية من موضع لآخر ، يقول الشيخ محمد عبده - رحمه الله -: « وعند قراءة التفسير كنت أتكلم على حسب حالة الحاضرين ؛ لأنني لا أطالع عندما أقرأ لكنني ربما أتصفح

(١) التحرير والتنوير (١/ ٨) .

كتاب تفسير إذا كان هنالك وجه غريب في الإعراب أو كلمة غريبة في اللغة . فإذا حضرني جماعة من البلداء الخاملين الفكر أحُلُّ لهم المعنى بكلمات قليلة، وإذا كان هنالك من ينتبه لما أقول ويلقي له بالاً يفتح عليّ بكلام كثير» [١] .

كما أن هذه العلوم والمداخل التي استقرت اليوم في التفسير لم تجتمع كلها في عصر واحد ؛ بل هنالك علوم تخوف العلماء من طرح بعضها في فترة من الفترات، ثم برز ذلك العلم والمدخل في عصر آخر، وأصبح له مكانته وأهميته كما نقل صاحب البرهان عن القاضي أبي بكر بن العربي -رحمه الله- قوله في "سراج المريدين" وهو يتحدث عن دراسة وجوه المناسبات في عصره فيقول : «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله ﷻ لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه»[٢]، وقال الشيخ أبو الحسن الشهراباني - رحمه الله - : « وهو أول من أظهر ببغداد علم المناسبة، ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة

(١) تفسير المنار (١/ ١٨) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٥٣) .

في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزدري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة»[1]، ثم جاء الرازي – رحمه الله – فأظهره في تفسيره، وبيَّن أن أكثر لطائف القرآن مودعة فيه ، ثم جاء البقاعي – رحمه الله – فأفرده بالتأليف ، وجعله علماً بارزاً من علومه ، ووجهاً من أوجه تفسيره ، وما زال العلماء إلى يومنا هذا يكتشفون وجوهاً جديدة في التناسب حتى وصل الأمر إلى الاهتمام بالتناسق الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة.

وكذلك هذه العلوم والمداخل كما اختلف العلماء في اهتمامهم بها وتناولهم لها في تفاسيرهم اختلفوا وتباينوا فيما يقدم من علم وما يؤخر في دراسة المعنى ، فمنهم من يقدم الفضائل ويجعله المدخل للتفسير ومنهم من يؤخرها ، قال الزركشي – رحمه الله –:«جرت عادة المفسرين ممن ذكر فضائل القرآن أن يذكرها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزمخشري فإنه يذكرها في أواخرها»[2]، ومنهم من يبدأ بسبب النزول؛ لأن السبب مقدم عنده على المسبب يقول الزركشي – رحمه الله –: «قد جرت عادة المفسرين أن يبدءوا بذكر سبب النزول»[3]، ومنهم من يبدأ بالمناسبات؛ لأنها المصححة لنظم الكلام، وهي سابقة عليه، ومنهم من يرى أن المفسر يبدأ بالألفاظ، كما يقول السيوطي – رحمه الله –:«يجب عليه

(١) المصدر السابق (١/ ٥٣) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٣٢) .

(٣) المصدر السابق (١/ ٣٤) .

البداءة بالعلوم اللفظية»[١]، وهكذا فيما يليه في الدراسة تجد اختلافاً وتبايناً كبيراً بين مفسر وآخر في أولويات المداخل وما يتبعها من خطوات الدراسة.

كما أن تلك الدراسات التي تمت من خلال بعض العلوم والمداخل لم تكن مستوفية للمطلوب أو متطابقة ، حتى من درس التفسير من خلال علم أو مدخل واحد من مداخل التفسير لم يستوعب ذلك المدخل بكل مكوناته ، فضلاً عمن درسه من مداخل متعددة ولم يستوعب عناصر وعلوماً مهمة في الدراسة ، مثال ذلك : كتب المفردات تباينت فيما بينها بصورة كبيرة في كيفية الدراسة من حيث الترتيب ، والمضمون ، والطريقة ، فمنهم من رتبها على حسب السور، ومنهم من رتبها على حسب حروف المعجم ، ومنهم من يشير إلى الآية التي وردت فيها الكلمة ، ومنهم من لم يشر، ومنهم من يذكر الشواهد واختلاف الآراء ومنهم من لم يذكرها ، ومنهم من ينسب الأقوال لقائليها ومنهم من لا ينسبها ، ومنهم من يتعرض لاختلاف القراءات المتواترة حتى أدخل القراءات غير المتواترة أحياناً ، ومنهم من لم يتعرض واكتفى بقراءة واحدة ، ومنهم مختصر مخل في اختيار الغريب ، أو شرحه بوجه واحد من أوجه معاني اللفظة ، ومنهم مطول حتى أسهب في شرح المفردات ، أو في الجمع والاستيعاب واستقصاء الأقوال ، أو أدخل أموراً ليست متعلقة بدراسة الألفاظ ، ومنهم من جعل دراسة الغريب فقط

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٤٨) .

في غريب اللفظ ، ومنهم من تناول غريب اللفظ والمعنى حتى تناولوا غريب الأسلوب والإعراب ، وهكذا تجد التباين الكبير في الأسلوب الواحد من مصنف لآخر، والتميز في جانب آخر في كل كتاب ، فكل كتاب تميز في الجوانب التي كانت هدفاً لمؤلفها ، وأصبح مرجعاً مهماً في مجاله ، ونقص في الجوانب الأخرى لم تكن مقصداً لمؤلفها ولا موضع اهتمامه عند تأليفه ، ولكن نجد أن هذه التفاسير بمجموعها استوعبت الكثير من علوم القرآن ومداخل تفسيره ، والذي ينقصها اليوم هو محاولة جمعها في مشروع يكامل بينها ، فإن جهود البشر يكمل بعضها بعضاً؛ خاصة في مجال علوم القرآن الذي لا يمكن أن يحيط بها أحد حتى في الوجه الواحد ، قال سهل ابن عبد الله التستري ــ رحمه الله ــ: «لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه؛ لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه، وكلام الله غير مخلوق ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة»[1].

كما أن التباين بين العلماء في كيفية تناول مداخل التفسير مع ما حققه من خدمة كبيرة للعلوم الشرعية واللغوية من جهة ؛ فقد كان من جهة أخرى عبئاً كبيراً على التفسير ، بسبب ما صحبته تلك الدراسات من توسع وتفريعات في جوانب ليس مكانها كتب التفسير ؛ وإنما مكانها كتب الفقه

(١) البرهان في علوم القران (١/ ٩) .

واللغة والعقيدة وغيرها ، فقد كان نتيجة هذا التوسع من بعض العلماء في طرح بعض العلوم والمداخل على حساب التفسير والمعنى الذي ينبغي أن يستقر في القلوب ، فتجد النحوي توسع في مباحث الإعرابِ وما يحتملُه اللفظُ من وجوهٍ نحويةٍ حتى كأن القرآنَ نزلَ لهذا كما فعلَ أبي حيان الأندلسي في تفسيره "البحر المحيط". وتجد الفقيه توسع في استنباط الأحكامِ الشرعيةِ من عباداتٍ ومعاملاتٍ ، ودخل في خلافات المذاهب، وإيراد الفروع الفقهية وفق مذهبه مع الرد على من خالفه من أصحاب المذاهب الأخرى كما فعل الجصاص الحنفي - رحمه الله - في "أحكام القرآن"، والقرطبي المالكي في "الجامع لأحكام القرآن" حتى أخذ التفسيرُ طابع الفقه، وكذلك التاريخي اهتم بالقصص ، وأخبار الأمم السابقة ،كما فعل الثعلبي والخازن -رحمهما الله - حتى أخذ تفسيرهما طابع الروايات التاريخية ، حتى أصبح هنالك عدم توازن في تناول العلوم والعناصر التي يتم من خلالها دراسة التفسير ، وأصبح ملحظاً يحتاج إلى دراسات لمعالجته . يقول الأستاذُ محمد رشيد رضا: « كان من سوءِ حظِ المسلمين أن أكثرَ ما كُتبَ في التفسيرِ يشغلُ قارئَه عن هذهِ المقاصدِ العالية، والهداياتِ السامية، فمنها ما يشغلُه عن القرآنِ بمباحثِ الإعراب وقواعدِ النحو ونكتِ المعاني ومصطلحاتِ البيان، ومنها ما يصرفُه عنه بجدلِ المتكلمين، وتخريجاتِ الأصوليين، واستنباطاتِ الفقهاءِ المقلدين وتأويلاتِ المتصوفين، وتعصبِ الفرقِ والمذاهبِ بعضُها على بعض، وبعضُها يلفته عنه بكثيرِ الروايات، وما مزجت به من خرافاتِ الإسرائيليات، وقد زادَ الرازيُّ صارفاً آخر عن

القرآنِ هو ما يورده في تفسيرهِ من العلومِ الرياضية والطبيعيةِ وغيرِها من العلومِ الحادثة في الملةِ على ما كانت عليه في عهده»[1] .

فهذا التباين الكبير في مداخل التفسير وأولوياتها فيما يقدم ويؤخر من مداخل ، وفي حجم العناية بكل مدخل ، وفي كيفية توظيفه جعل الدارس اليوم والناهل من علم التفسير يبحث عن رؤية علمية مؤصلة يسير عليها في التفسير تراعى فيه الصورة المثلى لمداخل التفسير من خلال علومه ، وأولويات تلك المداخل والعلوم في ما يقدم وما يؤخر منها في دراسة الآية أو السورة للوصول إلى الهدايات، كقولنا على المفسر أن يبدأ بدراسة المفردات، ثم يتكلم عن المعنى العام، ثم يبين الأحكام وفق منهجية مرتبة حسب الأولويات، ومتوازنة بحيث لا يطغى فيها جانب على جانب ، فهذا هو الذي هدفنا إلى معالجته من خلال المبحث القادم بإذن الله تعالى .

(١) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (١/ ١٣) .

المبحث الثاني
المنهج المقترح في تناول مداخل التفسير

بعد الاستقراء لجهود العلماء التي بذلت عبر التاريخ في كيفية تناول تفسير القرآن الكريم عبر مداخلهم المختلفة ، وكيف تطورت تلك الجهود وتكاملت ، وتنوعت ، توصل الباحث إلى عشرة عناصر إجمالية تمثل المنهج الأمثل في تناول التفسير من حيث المداخل في أولويتها وتسلسلها ، وتكاملها ، وتوازنها ، حتى يكون المفسر مستوعباً لكل عنصر الدرس التفسيري ، وتعين على فهم متجدد لمعاني القرآن الكريم الذي أمر الله العالمين بتدبره ، لما فيها من معانٍ لا تنضب وحكم لا تنقضي، فإن هدايات القرآن كلما تدبرها العبد بدقة وشمول يجد العقل بغيته ، والسقيم شفاءه ، والضال هديه .

وقد بينت باختصار كل عنصر ينبغي أن يتبع في الدراسة ، وأهميته ، وكيفية تطبيقه ، مع ذكر نماذج تطبيقية له، مرتبة حسب الأولويات، في صورة أقرب إلى الإجمال في المطالب التالية حتى نعطي صورة كلية للموضوع ، مع أن كل عنصر يحتاج أن يفرد بدراسة خاصة تستوعبه من كل الأوجه .

المطلب الأول : دراسة أسماء السورة وفضائلها وأحوال نزولها :

هنالك مقدمات ثلاث درج العلماء على دراستها قبل الحديث عن ما ورد في السورة من معان وأحكام ، وهي دائماً تأخذ أولوية متقدمة في الدراسات التفسيرية للسورة ، وقلّ ما تجد من لم يقدمها ويبدأ بها في تفسير السورة ، وهي تتلخص في ثلاثة أمور :

أولها: الحديث عن أسماء السورة: لقد اختصت كل سورة من القرآن باسم خاص[1] ، أو بعدد من الأسماء ، تميزها عن غيرها ، وقد تشترك عدد من السور في اسم واحد كالبقرة وآل عمران تسميان "الزهراوين" ، والفلق والناس تسميان "المعوذتين" ، وهي أسماء توقيفية ليس للاجتهاد في ذلك مجال ، قال السيوطي – رحمه الله –: « وقد ثبت أن جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك» [2].

وهي أسماء لها ارتباط وثيق بما دلت عليه السورة أو ما حوته من معان وهدايات، وهي تترجم في الغالب عن مضمونها ؛ ولذلك كانت أسماء السور موضع اهتمام العلماء في دراستهم للسورة؛ بل تعددت أسماء السور بحسب شرفها، فالفاتحة تعددت في أسمائها لشرفها وفضلها ، وقد جاءت

(١) جمهور العلماء يرون أن أسماء سور القرآن الكريم توقيفية عن النبي ﷺ ، حيث جعل النبي ﷺ لكل سورة اسماً خاصاً بها ، والروايات الكثيرة تشير بذلك . انظر : أسماء سور القرآن وفضائلها ، د . منيرة محمد ناصر الدوسري (ص :٧٣) .

(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٦٦) .

أسماؤها مرتبط بمعانيها وأحكامها ، وقد حاول العلماء الربط بين معاني السورة وأسمائها، مثال ذلك من أسماء سورة الفاتحة "أم القرآن" كما جاء عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ:(لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْتَرِئْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ)[١]، قال الطبري – رحمه الله – : « وسمّيت "أم القرآن" لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها ، وتأخُّر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة، وذلك من معناها شبيهٌ بمعنى فاتحة الكتاب ، وإنما قيل لها –بكونها كذلك– أمَّ القرآن، لتسمية العرب كل جامع أمرًا –أو مقدِّمٍ لأمر إذا كانت له توابعُ تتبعه، هو لها إمام جامع– "أمًّا"»[٢]. وقال البيضاوي – رحمه الله – : «وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه؛ ولذلك تسمى أساسا. أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى ، والتعبد بأمره ونهيه ، وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء »[٣].

ومن أسمائها "القرآن العظيم" كما جاء عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا ، إِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُ)[٤] . قوله

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠١ .

(٢) جامع البيان في تأويل أي القرآن (١ / ١٠٧).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي (١ / ٢) .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ح رقم ٨٦٦٧ ، والنسائي في السنن الكبرى ح رقم ٤٣١٦ ، =

ﷺ عن الفاتحة:(الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ)[1]. قال العلماء: وسميت "القرآن العظيم": لأنها أعظم سورة فيه ، ولاشتمالها على مقاصده الأساسية ، قال القرطبي : «سميت بذلك لتضمنها جميع علوم القرآن ؛ وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله ﷻ بأوصاف كماله وجلاله، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانته تعالى، وعلى الابتهال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم وكفاية أحوال الناكثين وعلى بيانه عاقبة الجاحدين»[2]، وقال السيوطي – رحمه الله –: «وسميت بذلك لاشتمالها على المعاني التي في القرآن»[3]. وهكذا يحاول العلماء الربط بين أسماء السور ومضامينها ، وهو موضوع يحتاج أن يفرد بالدراسة والبحث لبيان جهود العلماء في محاولة الربط بين أسماء السور ومضامينها.

ثانيها: ما صح في فضل الآية أو السورة : هنالك آيات وسور ورد فيها بعض الفضائل في أحاديث صحيحة ، على المفسر ذكرها والاستفادة منها في بيان معنى الآية أو السورة في موضعها ، فمن عرف فضل سورة الفاتحة أو

= والترمذي ح رقم ٢٨٧٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى ح رقم ٤١٢٤ ، والحاكم في المستدرك ح رقم ٢٥٨ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن ، باب : فاتحة الكتاب ح رقم ٤٤٧٤.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن الجوزي (٤ / ٤١٣) .

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٣٤) .

الإخلاص جد في حفظهما وفهمهما لما نالتاه من خصوصية ، قال الزركشي ـ: « قد جرت عادة المفسرين ممن ذكر الفضائل أن يذكرها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها »[١] ، والعلماء دائماً يحاولون الربط بين ما ورد من فضائل ومعاني السورة، مثال ذلك ما ورد عن فضل سورة الفاتحة كما جاء في حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى ﷺ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: (أَلَمْ يَقُلْ اللهُ ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ثُمَّ قَالَ لِي: (لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ : أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ)[٢]. قال ابن حجر العسقلاني ــ رحمه الله ــ: "والمراد بالعِظَم عظم القدر بالثواب المترتب على قراءتها ؛ وإن كان غيرها أطول منها ؛ وذلك لما اشتملت عليه من المعاني المناسبة لذلك"[٣]، وقال القرطبي: « والتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها لا من حيث الصفة وهذا هو الحق"، وأن ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(البقرة:١٦٣)، وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر،

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب : فاتحة الكتاب ح رقم ٤٤٧٤.

(٣) فتح الباري (٩ / ٥٤).

وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجوداً مثلاً في ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾(المسد:١) وما كان مثلها» [١].

ثالثها : أحوال نزول السورة :

المفسر لكلام الله في حاجة مستمرة إلى استصحاب الأحوال والقرائن التي نزل فيها القرآن، ومعايشة تلك الأحوال ، خاصة وقد كان نزوله متوافقاً مع ظروف وحاجات الدعوة والوقائع والأحوال التي مرت بها، وبذلك يحسن فهم الآية وإنزالها في الواقع ، فمعايشةُ أحوال نزول القرآنِ الكريمِ مِنْ أعظمِ السُّبُلِ إلى فهمه وإدراك معانيه وحِكَمِهِ . قال الواحدي – رحمه الله –: « يمتنع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»[٢]. وهو من الأسباب التي بها تقدم فهم الصحابة للقرآن الكريم. وقال الشاطبيُّ– رحمه الله – في بيان سبب نبوغ الصحابة في التفسير أنه يرجع إلى أمرينِ : «أحدهما: معرفتهم باللسان العربي فإنهم عرب فصحاء لم تتغير ألسنتهم ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم ...والثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة ، فهم أقعدُ في فهمِ القرائنِ الحاليَّةِ وأعرفُ بأسبابِ التنزيلِ، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهدُ يرى ما لا يرى الغائبُ...»[٣]. ويقول الشيخ محمد رشيد رضا

(١) الجامع لأحكام القرآن (١ / ١١٠) .

(٢) أسباب النزول، الواحدي (ص : ٢) .

(٣) الموافقات ، الشاطبي (٣ / ٣٣٨) .

- رحمه الله -: «فيجب على المفسر: أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم ؛ لأن القرآن ينادي بأن الناس كلهم كانوا في شقاء وضلال ، وأن النبي ﷺ بعث به لهدايتهم وإسعادهم . وكيف يفهم المفسر ما قبحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة ، أو ما يقرب منها إذا لم يكن عارفاً بأحوالهم وما كانوا عليه » [(١)].

ولفهم أحوال النزول أكد العلماء على دراسة وقت نزول السورة خاصة قبل الهجرة أم بعدها؛ لأن لكل فترة خصائصها الموضوعية، وأكدوا على معرفة أسباب النزول لأن بعض الآيات متوقف معرفتها في كثير من الأحيان على معرفة مقتضيات الأحوال ، وحال المخاطب والخطاب، والجهل بأسباب النزول يوقع المفسر في الإشكالات، سأل بُكير نافعًا مولى ابن عمر: كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية ؟ قال: «يراهم شرار خلق الله، إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين»[(٢)]، فمعرفة سبب النزول يدلك على المعنى الصحيح ، ويدفع ما يقع من إشكال. كما أكدوا على أهمية دراسة سيرة النبي ﷺ في أحواله المختلفة في السلم والحرب وغيرها للمفسر لمعايشة أحوال النزول، قال السعدي - رحمه الله-: « فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع

(١) تفسير المنار (١/ ٢٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً في كتاب: استتابة المرتدين ، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، وقال ابن حجر: وسنده صحيح. انظر الفتح (٨/ ٣) .

أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصا إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها »[1].

وقال في تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير الأحكام:« اعلم أن سيرة نبينا محمدﷺ أعظم عون على معرفة تفسير كتاب الله، والقرآن إنما كان ينزل تبعا لمناسبات سيرته، وما يقوله للخلق، وجواب ما يقال له ، وما يحصل به تحقيق الحق الذي جاء به، وإبطال المذاهب التي جاء لإبطالها، وهذا من حكمة إنزاله مفرقاً، كما ذكر الله هذا المعنى بقوله:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾(الفرقان:٣٢ -٣٣). وقال تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(هود:١٢٠). فلنشر من سيرته ﷺ على الأحوال المناسبة لنزول الآيات المعينات ، أو لجنس النوع من علوم القرآن ليكون عونا في هذا المقام»[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٣٠) .

(٢) (٢/ ١) .

المطلب الثاني : الكشف عن مقاصد السورة وأغراضها وموضوعاتها[١]:

الكشف عن مقاصد السورة وأغراضها والموضوعات التي تتناولها ، من المداخل المهمة والمفاتيح الأساسية في فهم السورة القرآنية ؛ فعلى المفسر أن يستجمع معاني السورة للوصول إلى مقاصدها وأهدافها، وموضوعها البارز، ومحاورها المتعددة ، فالسورة «مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل ببعض في القضية الواحدة »[٢]. فدراسة نظم السورة ، ووحدتها الموضوعية من أعظم الأسباب المعينة على دقيق الفهم « فكلٌّ من غفل عن نظام الآيات أو تناولها تناولاً قاصراً عابراً لا يمكنه أن يستمتع بجمال القرآن، ولا يمكنه أن يدرك ميزته التي تخصه من بين سائر أنواع الكلام»[٣] ، ولذا قال ابن عاشور – رحمه الله –: « ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه

(١) هذا المحور من حيث الدراسة يؤخره العلماء لحين استيفاء معاني السورة كما نصوا على ذلك ، ومن حيث الكتابة والتأليف يقدمه العلماء بعد الحديث عن أسماء السورة وفضائلها وأحوال نزولها .

(٢) النبأ العظيم ، الدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٩٩ .

(٣) البرهان في نظم القرآن ، محمد عناية الله أسد سبحاني ص٢٢ .

وتحجب عنه روائع جماله »[1].

ومقاصد السور يراد به: الموضوعات التي تدور عليها آيات السورة ؛ فكل سورة في القرآن الكريم لها موضوعها البارز الذي في الغالب تدور حوله الآيات والمعاني التي في السورة ، فإذا عُلم موضوع السورة ، ومحاورها التي تشمل موضوعات السورة الأخرى ؛ سهل فهم السورة وتفسيرها، وظهرت دلالات أخرى من المعاني لا يمكن الوصول إليها إذا درست الآيات مجردة عن مقاصد السورة وأغراضها وموضوعاتها. وهو من العلوم التي يعرف بها عظمة السورة ومكانتها ؛ فعلى قدر مقاصد كلّ سورة تكون عظمتها ، فالفاتحة أعظم سورة في القرآن ؛ لأن مقصدها "تحقيق العبودية لله " وهو أعظم مقصود ، ومن فهم محاورها سهل عليه فهم معانيها ، حيث تدور في ثلاثة محاور : الأول في التعريف بالمعبود الحق ﷻ في قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ، والمحور الثاني : معرفة كيفية عبادته من الإخلاص والاستقامة على الصراط المستقيم الذي بهما يكون القبول ، والاستعانة بالله التي بها يكون التوفيق ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، وأن المحور الأخير جاء في عاقبة من عبده ومن عصاه ممن أنعم الله عليهم وممن غضب عليهم في قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ .

(١) التحرير والتنوير (١/ ٨) .

وهو علم لا يمكن التوصل إليه إلا بعد استيفاء دراسة آيات السورة، ومعرفة مناسباتها، وموضوعاتها ، يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله –: «اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها»[(١)]. فالسورة أحياناً تكون عدة صفحات في قصة معينة تحمل دلالات متنوعة لكنها تخلص في نهايتها إلى هدف محدد. وقد أفرد برهان الدين أبو الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي الشافعي هذا الموضوع بالدارسة في كتابه " مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ" ، يمكن الرجوع إليه.

المطلب الثالث : دراسة مفردات القرآن الكريم وغريبه :

علم مفردات القرآن وغريبه، هو العلم الذي يعتنى فيه فيما يشكل من القرآن ويحتاج فهمه إلى شيء من العناء ، وهو العلم الذي يبدأ به المفسر فهم كلام الله ، ولا يمكن فهم المعاني الأولية في الآية بدون معرفته ، فمن قرأ قوله تعالى: ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ (المعارج :٣٦ – ٣٧) فلا يمكن أن يفهم معنى هاتين الآتين ما لم يعرف معنى "مهطعين" و"عزين"، ولأهميته وأثره كثرت فيه مصنفات

(١) الموافقات ، الشاطبي (٣/ ٤١٥) .

فحول العلماء . قال الراغب الأصفهاني – رحمه الله –: « إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة ، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبين »[1]، وفي هذا يقول أبو حيان الأندلسي – رحمه الله – في شرحه لمنهجه في تفسيره : « وترتيبي في هذا الكتاب أني أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه ثم أشرع في تفسير الآية »[2] ، وقال السيوطي – رحمه الله – وهو يتحدث عن العلم الذي يبدأ به المفسر فقال:« ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق»[3].

وقد بين أبو حيان – رحمه الله – أهمية هذا العلم للمفسر، وأن من عرفه فتح عليه باب التفسير فقال: «ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة، وارتقى إلى تمييز حسن

(١) المفردات في غريب القرآن (١/ ١٠) .

(٢) البحر المحيط (١ / ٥) .

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٤٧).

تركيبها وقبحه فلن يحتاج في فهم ما تركب من تلك الألفاظ إلى مفهم ولا معلم ،وإنما تفاوت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه فلذلك اختلفت أفهامهم وتباينت أقوالهم »[1] .

والمفسر في دراسته لعلم المفردات ينبغي أن يسير على المنهج القويم الذي رسمه العلماء لكل مفسر ، فإذا جاء في معنى لفظة عن النبي ﷺأو الصحابة معنى لا يعدل إلى غيره من أقوال أهل اللغة ، فنجد ابن جرير الطبري -رحمه الله - وغيره إذا ذكروا تفسيراً للفظة يستشهد على ذلك بما يرويه عن الصحابة والتابعين ، وإذا رجع إلى أهل اللغة لابد أن يلاحظ المعنى المشهور والأظهر والأفصح في اللغة وأساليب العرب في الخطاب ، ولذلك تجد المفسرين يستشهدون بالشعر العربي ليثبتوا استعمال اللفظ في المعنى الذي حمله عليه ، مع مراعاة موافقة المعنى المختار للسياق الذي ورد فيه ، لأن اللفظ قد يستعمل في معانٍ مختلفة يميزه السياق الذي ورد فيه ، وإذا اختلف المعنى الشرعي والمعنى اللغوي فيقدم المعنى الشرعي أولاً ويحمل عليه ما لم تقم قرينة تحمله على المعنى اللغوي ، قال ابن تيمية - رحمه الله-: « ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺلم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ، ولهذا قال الفقهاء : الأسماء ثلاثة أنواع : نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ، ونوع يعرف حده باللغة كالشمس

(١) البحر المحيط (١ / ٦) .

والقمر، ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(النساء:١٩) ونحو ذلك ... فاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك قد بين الرسول ﷺما يراد بها في كلام الله ورسوله، وكذلك لفظ الخمر وغيرها ، ومن هناك يعرف معناها ، فلو أراد أحد أن يفسرها بغير ما بينه النبيﷺ لم يقبل منه ، وأما الكلام في اشتقاقها ووجه دلالتها فذاك من جنس علم البيان وتعليل الأحكام ، وهو زيادة في العلم وبيان حكمة ألفاظ القرآن لكن معرفة المراد بها لا يتوقف على هذا»[١] .

المطلب الرابع : دراسة وجه التناسب بين الآيات :

من العلوم المهمة المقدمة في دراسة التفسير التي تكشف للدارس الكثير من معاني القرآن ولطائفه وروائعه النظر في وجه التناسب بين الآيات سابقها ولاحقها ، بل بين فقرات الآية الواحدة ، فهو خير معين في فهم المعنى وفق السياق الذي ورد فيه استنباطاً، أو اختياراً، أو ترجيحاً؛ ولذلك قال الزركشي : «والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له»[٢] ،

(١) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٧/ ٢٨٧) .

(٢) البرهان في علوم القرآن (١ / ٣٧) .

وقال ابن القيم – رحمه الله – في بيان أهمية السياق في فهم المعنى :« السياق يرشد إلى بيان المجمل ، وتعيين المحتمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير »[(١)].

فالنظر في سياق الآية ومناسباتها لما قبلها وما بعدها من الأمور المهمة للمفسر «فمن خلاله يستعين على فهم المعنى ، أو الترجيح بين الآراء في ضوء السياق ، أو إزالة لبس أو إشكال ، أو دفع إيهام ، أو معرفة الحكمة من إيراد القصص القرآني ، أو غير ذلك من الفوائد»[(٢)]، فهو خطوة مهمة للوصول إلى معاني الآية أو السورة ، وإهماله يؤدي إلى دراسة تفسيرية يشوبها النقص والخلل ، كما جاء عن عكرمة أن نافع بن الأزرق الخارجي قال لابن عباس: يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوماً يخرجون من النار، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾(المائدة:٣٧) فقال: ويحك ، اقرأ ما فوقها. هذا للكفار)[(٣)] .

وهو علم في الدراسة يقدم في الأصل حتى على سبب النزول ، قال

(١) بدائع الفوائد (٥/ ١١) .

(٢) موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات (١ / ١٥) .

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٠/ ٢٩٤) .

الزركشي : « قد جرت عادة المفسِّرين أن يبدءوا بذكر سبب النزول ، ووقع البحث في أنه : أيهما أولى بالبداءة؟ أيُبدأ بذكر السبب ، أو بالمناسبة لأنها المصحِّحة لنظم الكلام ، وهى سابقة على النزول ؟ قال: والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول كآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ (النساء: ٥٨) فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب ، لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد ، وإن لم يتوقف على ذلك ، فالأَوْلى تقديم وجه المناسبة»[1].

ودراسة علم المناسبات باب واسع بعضه متعلق بموضوع السورة ، وبعضه بين اسم السورة وموضوعها أو موضوعاتها ، أو فاتحة السورة لخاتمتها ونحو ذلك من الوجوه الكثيرة التي تكلم عنها العلماء ؛ ولكن نحن هنا نتكلم عن الحد الذي لابد من دراسته في أثناء دراسة الآية ، وهو التناسب بين الآيات الذي من خلالها يضبط فهم الألفاظ والمعاني والأحكام ، وذلك لأن «الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض ، أو في الانتقال منه أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل»[2].

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٤) .

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٧٩) .

المطلب الخامس : دراسة المعنى العام للآية أو السورة :

إذا درس المفسر الألفاظ وفق السِّياق الذي وردت فيه ، فإنه ينطلق إلى فهم المعنى العام للآية ، وهو ما يسمى بالتفسير الإجمالي ، ملتزماً للمعنى المختار في دلالة الألفاظ ، ويكون هدف المفسر الوصول للمعاني الكلية للآية بدون تفصيلات فيما يتعلق بالأحكام ، أو ما يستنبط من الآية من فوائد ، ولهذا عرف العلماء التفسير الإجمالي بقولهم:« هو التفسير الذي يكتفي المفسر فيه بعرض المعنى للآية أو الآيات عرضاً إجمالياً موجزاً دون توسع أو تفصيل »[1].

والمعنى العام للآية هو وجه من وجوه التفسير المهمة الذي مارسه العلماء في تفاسيرهم ، كابن جرير وابن كثير ، فكثيراً ما يذكرون المعنى الإجمالي للآية، فنجد غالباً ما يبدأ ابن جرير تفسيره بذكر المعنى العام فيقول : القول في تأويل قوله جل ثناؤه كذا وكذا ثم يذكر ما يؤيده مما ورد عن الصحابة والتابعين ، ومنهم من جعله وجهاً لتفسيره ، فبنى تفسيره على المعنى الإجمالي مثل: كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن ابن ناصر السعدي ، وزبدة التفسير، للأشقر، والتفسير الميسر لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة النبوية ، وصفوة البيان لمعاني القرآن لحسنين مخلوف. ومنهم من جعله وجهاً بارزاً ضمن الأوجه التي سلكها في تفسيره وأفرده بعنوان خاص ، حيث اتبع دراسة المفردات ببيان المعنى العام قبل

(١) انظر : التفسير والتأويل في القرآن الكريم ، د . صلاح عبد الفتاح الخالدي (ص:١٣).

دراسة الأحكام كالجزائري في تفسيره "أيسر التفاسير" ، ومثل التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم الذي نفذته جامعة الشارقة تحت إشراف مصطفى مسلم ، والطنطاوي في تفسيره الوسيط .

وأهمية هذا النوع من وجوه التفسير تكمن في عدة جوانب من ذلك : أنه يجعل معاني القرآن الكريم في متناول الجميع ، وهو يبرز المعنى الأول الذي صيغت الألفاظ من أجله، قال الشاطبي ــ رحمه الله ــ: « الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم ؛ بناءً على أن العرب كانت عنايتها بالمعاني ، وإنَّما أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ إنَّما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود، ولا أيضاً كل المعاني ، فإن المعنى الإفرادي قد لا يعبأ به إذا كان المعنى التركيبي مفهوماً دونه »[1]. كما هو يمثل الحد الأدنى المطلوب فهمه من خطاب القرآن الذي جعله الله للناس جميعاً، يقول الأستاذ محمد رشيد رضا : «فالتفسير مراتب أدناها: أن يبين بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله وتنزيهه ، ويصرف النفس عن الشر ويجذبها إلى الخير . وهذه التي قلنا إنها متيسرة لكل أحد"[2] ، وهو يمهد لما يستتبع من دراسات تفصيلية للآية أو السورة للتدرج بالفهم حتى لطلاب العلم ، يقول الشيخ سيد طنطاوي في تفسيره "هذا هو المعنى الإِجمالي للآيات الكريمة سقناه قبل

(١) الموافقات (٢/ ٣٩٦) .

(٢) تفسير المنار (١/ ٢٣) .

تفصيل القول في تفسيرها حتى يتهيأ الذهن لفهمها بوضوح"[١]، كما أنه يعطي خلاصة الآراء والأفكار وفق الراجح والمختار بدون تطويل أو دخول في تفاصيل وفرعيات، وهو من أنسب أوجه التفسير للترجمة ، وعامة الناس .

فيكفي المسلم وهو يقرأ في مقدمة سورة البقرة أن يعلم أنها حوت خمسة أوصاف للمتقين تتلخص في الإيمان بالغيب ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق ، والإيمان بالقرآن وما أنزله الله من كتب سابقة، مع اليقين بالآخرة ، وأن الذين اجتمعت فيهم تلك الصفات هم المتقون الذين منَّ الله عليهم بالهداية والفلاح في الدنيا والآخرة .

وفهم المعنى العام يسهل فهم القرآن للناس، ويسهل على كل مسلم معرفته إذا كان له علم باللسان الذي نزل عليه القرآن الكريم ، ومن هنا اعتنى به العلماء وجعلوه وجهاً مهماً من وجوه التفسير التي لها دورها وأثرها في فهم القرآن الكريم .

(١) التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي (١/ ١٣٩٨) .

المطلب السادس : دراسة الأحكام[1] الشرعية التي دلت عليها الآية:

القرآن الكريم هو مصدر التشريع الأول وأساس الهدى والرحمة ، ومن أهم ما يجب على كل مسلم تعلمه وفهمه من كتاب الله تعالى تعلم أحكام دينه التي يتعبد الله تبارك وتعالى من خلالها ، ومن هنا كانت دراسة وإبراز الأحكام الشرعية التي وردت في الآية دائماً في أولويات المفسر فيما يقصده لنفسه ويقدمه للناس « ليعبدوا ربهم باعتقاد الحق ، وبالعمل بما شُرِع دون ما ابتُدع ، مُزكّين نفوسهم بذلك مكملين آدابهم مهذبين أخلاقهم بما أودع الله جل جلاله كتابه من مناهج التربية الروحية والأخلاقية والآداب النفسية »[2] ، وهو وجه من أوجه التفسير التي لم يختلف العلماء في أهميته ، بل اعتنوا به عناية خاصة في تفاسيرهم ابتداء من جامع البيان لابن جرير، إلى أضواء البيان للشنقيطي ، ومنهم من جعله الوجه البارز في تفسيره ، كما فعل القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن ، ومنهم من أفرده بالتصنيف في مؤلفات خاصة جاءت تحمل مسمى أحكام القرآن ، اهتم من خلالها العلماء بآيات الأحكام الشرعية المتعلقة بأحكام المكلفين ،كأبي الحسن الطبري المعروف بالكيا الهراسي الشافعي ، وأبي بكر الرازي المعروف

(١) يقصد الباحث بالأحكام عموم الأحكام " الأحكام الاعتقادية والفقهية والسلوكية والأخلاقية" .

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر الجزائري (١/ ٥) .

بالجصاص الحنفي ، وأبي بكر بن العربي المالكي ، وهي كتب تأثرت بمذاهب مؤلفيها ، وهنالك كتب حديثة كتبت في دراسة آيات الأحكام عموماً دون الالتزام بمذهب معين في تقرير الأحكام مثل : تفسير آيات الأحكام، للشيخ محمد على السايس ، وروائع البيان بتفسير آيات الأحكام للشيخ محمد علي الصابوني ، وآيات الأحكام للشيخ محمد بن صالح العثيمين . وقد توسع هذا النوع من الدراسة حتى مثل اتجاهاً في التفسير ، عرف بالتفسير الفقهي .

وهذا الوجه من التفسير تأثر في امتداده التاريخي بحركة الفقه وأصوله ، فلم ينفك عن طريقة الفقهاء في تقرير واستنباط الأحكام ، ولم يخل من شوائب التعصبات المذهبية التي شابت تلك الفترات ، كما فيه استطرادات وتفريعات حرفت التفسير عن مساره ، وذلك بدراسة مسائل ليس لها تعلق وارتباط بالآية بصورة مباشرة ، وكثرت من خلاله الأقوال والخلافات المذهبية ؛ حتى سمي بالتفسير المقارن ، لأن الدارس يحتاج إلى معرفة كيفية التعامل مع هذا النوع من الخلافات التي لا بد أن يراعي فيها ضوابط الترجيح .

والمفسر وهو يدرس في علم الأحكام لابد أن تكون له قدرة على الترجيح بين الأقوال المتعارضة ، والموازنة بين الآراء المختلفة ، لأنه لا يجوز تفسير الآية بالقول المرجوح وترك الراجح. كما على المفسر أن يعرف كيف يجمع بين الأدلة ، وكيف يميز بين اختلاف التنوع والتضاد وفق ما قرره العلماء من منهجية في الدراسات المقارنة وساروا عليها في كتبهم ؛ للتوصل للحق والصواب بأقصر الطرق بدون تعصب لمذهب أو شيخ أو طريقة وفق

قواعد الترجيح أو الاختيار؛ لأنه جانب تأثر باختلاف مذاهب العلماء . قال الزركشي وهو يبين المنهجية التي تدرس بها الأقوال المختلفة فيها ما ملخصه : « وكل لفظ احتمل معنيين فصاعداً فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه ، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي ، فإن كان أحد المعنيين أظهر وجب الحمل عليه إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي ، وإن استويا والاستعمال فيهما حقيقة ؛ لكن في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية ، وفي الآخر شرعية فالحمل على الشرعية أولى إلا أن يدل دليل على إرادة اللغوية ،كما في قوله تعالى ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾(التوبة:١٠٣) ، ولو كان في أحدهما عرفية والآخر لغوية فالحمل على العرفية أولى ؛ لأن الشرع ألزم ، فإن تنافى اجتماعهما ولم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد كـ"القرء" للحيض والطهر اجتهد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه ، فما ظنه فهو مراد الله تعالى في حقه ، وإن لم يظهر له شيء فهو يتخير في الحمل على أيهما شاء، وإن لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة إلا إن دل دليل على إرادة أحدهما»[1].

ومن هنا ظهر علم في الدراسات القرآنية يدرس ترجيحات واختيارات واستدراكات العلماء ويحكم من خلالها على المفسر وقوته العلمية وتجرده للحق. وعلى المفسر عدم التوسع في المسائل الفقهية التي ليس لها ارتباط

(١) انظر : البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٦٦- ١٦٨) ، هذا ملخص قوله .

بالآية حتى لا نبعد عن دلالات النص القرآني وإخراج الدراسة عن روح التفسير، وإنما يقرر المفسر الرأي الراجح بأقصر الطرق وأيسرها كما هو نهج القرآن الكريم .

المطلب السابع : استنباط الفوائد واللطائف:

على المفسر بعد معرفة الأحكام الظاهرة أن يهتم باستنباط المعاني الخفية التي تحتاج إلى نظر واجتهاد قد تخفى على غير مستنبطها ، مع معرفة أنواع الدلالة من نص ، وإشارة ، وإيماء ، وغيرها . فعلم الاستنباط هو علم «زَائِدٌ عَلَى مُجَرَّدِ فَهْمِ اللَّفْظِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ طَرِيقَةَ الِاسْتِنْبَاطِ ؛ إذْ مَوْضُوعَاتُ الْأَلْفَاظِ لَا تُنَالُ بِالِاسْتِنْبَاطِ وَإِنَّمَا تُنَالُ بِهِ الْعِلَلُ وَالْمَعَانِي وَالْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ وَمَقَاصِدُ الْمُتَكَلِّمِ ... وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا الْفَهْمَ قَدْرٌ زَائِدٌ عَلَى مَعْرِفَةِ مَوْضُوعِ اللَّفْظِ وَعُمُومِهِ أَوْ خصُوصِهِ ، فَإِنَّ هَذَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ سَائِرِ مَنْ يَعْرِفُ لُغَةَ الْعَرَبِ، وَإِنَّمَا هَذَا فَهْمُ لَوَازِمِ الْمَعْنَى وَنَظَائِرِهِ، وَمُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ بِكَلَامِهِ، وَمَعْرِفَةِ حُدُودِ كَلَامِهِ، بِحَيْثُ لَا يَدْخُلُ فِيهَا غَيْرُ الْمُرَادِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا شَيْءٌ مِنْ الْمُرَادِ»[1] ، وهو علم مهم ؛ لأننا متعبدون إلى الله بما دلت عليه الآية بمنطوقها أو مفهومها ، فكما لا يجوز تجاوز ألفاظ القرآن ومعانيه ، كذلك لا يجوز قصرها بل يجب أن يعطى كلٌ حقه . وهو علم يزيد من وجوه المعنى ، ويكشف المزيد من أسرار هذا الكتاب التي لا تنقضي ، ويظهر جماليته التي لا تنتهي ، خاصة الفوائد التي لها تعلق

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية (١ / ٣٠٧) .

بالحكم، أو تعمق فهم المسلم في عقيدته وعبادته وأخلاقه ، فإن آيات القرآن ذات أفانين عميقة مترامية الأطراف ، تنقطع فيها الطاقات ، ولا تبلغ غورها الأفهام ، فليس في المقدور استيفاء جميع أسرار هذا الكتاب المصون، الذي حوى من الحكم المكنونة الشيء العظيم؛ ولذا جعله العلماء آخر الكلام الذي ينتهي عنده حديثهم ، ولا ينتهي نظرهم فيه ، بل دائماً يسألون الله المزيد فيه. يقول السيوطي ـ رحمه الله ـ: «ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فيتكلم عليها من جهة اللغة، ثم التصريف، ثم الاشتقاق ، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب فيبدأ بالإعراب، ثم بما يتعلق بالمعاني ، ثم البيان ، ثم البديع ، ثم يبين المعنى المراد ، ثم الاستنباط ، ثم الإشارات»[1].

وينبغي أن يراعى في المعنى المستنبط عدم معارضته لأدلة الشرع ، أو اللغة، ويكون له ارتباط بالنص القرآني ، فلا يكون هنالك تكلف فيما ليس له ارتباط بالنص ولو كان المعنى المذكور صحيحاً فإنه يرفضه لأن في ذلك خطأ في الاستدلال[2]، وكذلك يكون فيما للرأي فيه مجال، ليس مما استأثر الله بعلمه ، وأن لا يكون مما يشتت الذهن أو يصرف عن العمل إلى الجدل ، فمثل هذه الاستنباطات الأولى تركها، لأن مقصد التفسير الأول هو الهداية.

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٤٧) .

(٢) انظر : منهج الاستنباط من القرآن الكريم ،الشيخ د. فهد الوهبي (ص: ٢٦٨) لمزيد الفائدة .

المطلب الثامن : دراسة خصائص الأسلوب وأوجه الإعجاز :

القرآن أنزله الله تعالى للهداية والإعجاز قال تعالى عن مقصد إنزاله : ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾(البقرة:١٨٥)، فهو الآية والمعجزة الكبرى الخالدة الدالة على صدق الرسالة مدى الدهر المسجل من خلاله عجز الخلق في الإتيان بمثله، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة:٢٣ - ٢٤).

وهو معجز من حيث ألفاظه ومعانيه معاً، فأوجه إعجازه كثيرة منه ما هو متمثل في كمال بلاغته، وروعة بيانه، وسعة دلالاته ، وتفنن أسلوبه ، ووفاء معانيه لحاجات البشرية ، ومنها ما هو متعلق بصدق إخباره عن المغيبات ماضي وحاضر ومستقبل ، ومنه ما هو متمثل في عدالة وشمولية وكمال تشريعاته ، ومنه ما هو متعلق بمنهجه وعظم أثره في تربية وتزكية النفوس ، وقوة حجته في إقناع العقول وهدايتها ، بل نجد الإعجاز ماثلاً حتى في نظمه وترتيبه ، وما فيه من تناسق وتناسب في الألفاظ والآيات والموضوعات ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢). قال فخر الدين الرازي في ختام تفسيره لسورة البقرة: « ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة ، وفي

بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعلّ الذين قالوا : إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور» [1]. وغير ذلك من أوجه الإعجاز الأخرى التي تفيض في كل جوانبها بالجلال والجمال ، وتشهد بعجز الإنسان من الإتيان بمثله أبدا.

والمفسر وهو يفسر في كلام الله تعالى ينبغي له أن لا يغفل عن دراسة وجوه إعجازه، لاحتوائها على حِكَم وأسرار بديعة ؛ فمن خلاله تظهر براهين الرسالة، وينفي عن كتاب الله الريب ، ويرتقي المسلم في مدارج اليقين درجات ؛ ويتعمق نظره للقرآن الكريم ، وكيف أحكمت آياته ، واستقامت معانيه ، وتوافقت هدايته ، وتوسعت علومه بدرجة عجزت العقول عن الإحاطة بها ، وكيف سما في ألفاظه وأسلوبه وتفنن في روعة خطابه ، وتناسب وتناسق في نظمه وترتيبه ، وصدق بعضه بعضا بما ليس هو معتاد في كل كلام البشر. ومن هنا اهتم العلماء بهذا الوجه في التفسير وأكدوا على أهميته، قال الزركشي: « واعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله»[2].

وقد جعله بعض العلماء من الدراسات المتأخرة ؛ لأن أوجه الإعجاز

(١) مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله الرازي (٤/ ٦٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٢٩) .

كثيرة يصعب الإحاطة بها ، وهم يريدون الوقوفَ على ما يستطيعونه عند دراسة الآيات ، قال أبو حيان ــ رحمه الله ــ : « ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها إفراداً وتركيباً بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصاً»[١] ، كما هنالك أوجهاً من الإعجاز لا تظهر إلا من خلال استيفاء جميع السورة بالنظر، « فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود ، كما أنَّ الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلاَّ بعد كمال النَّظر في جميعها »[٢] .

وإن إغفال هذا الجانب وعدم إدخاله واستصحابه ضمن التفسير أضعف من مكانة وجلالة القرآن في نفوس بعض المسلمين ، وقلل من درجات اليقين ، وهو وجه مهم حاول العلماء قديماً وحديثاً إدخاله ضمن التفسير أمثال الزمخشري والرازي وأبي السعود وابن عاشور وغيرهم.

المطلب التاسع : ربط الواقع بهدايات القرآن الكريم :

القرآن جاء لهداية الناس للتي هي أقوم ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، في كل زمان ومكان ؛ ولكن "أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن"[٣]. ولذلك كان

(١) البحر المحيط (١/ ٥ ، ٦) .

(٢) الموافقات للشاطبي (٣/ ٤١٥) .

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٤٣) .

من أعظم ما يقوم به المفسر ربط معاني القرآن بالواقع ، والعمل على تنزيل قيمه على الحياة من خلال تفسيره ، بما يحقق للأمة صلاحها ويعيد مجدها، ويكشف مخططات عدوها، وذلك من خلال الدعوة للعمل بهدايات القرآن الكريم ، وتصحيح ما في الواقع من مفاهيم ونظريات خاطئة ، وبيان ضلال الدعوات المنحرفة ، ويعالج الصفات والعادات الذميمة التي عالجها القرآن ، ويؤكد على طرق النهوض بالأمة التي أبرزها القرآن ، ويكشف عن أسباب الضعف والخلل ، وسنن التمكين والتخلف، ويرد على الشبه المثارة حول تعاليم القرآن الكريم وأحكامه، ويبرز العلاج لمشكلات الواقع المتنوعة، وهو مما يسهل فهم القرآن للناس ويحببهم إليه، فإن أمتنا اليوم تعيش فتناً متلاحقة، ومشكلات معقدة أصبح الحليم فيها حيران بسبب بعدها عن كتاب الله، مصدر الهدى ومورد الشفاء، فالواجب على علماء التفسير فحص قضايا أمتهم وفق هدايات القرآن، فهو كتاب نزل معايشاً ومعالجاً لقضايا الأمة في كل فتراتها، وهو سر من أسرار نزوله منجماً، حيث عايش الأمة في سلمها وحربها، وفي مشاكلها الفردية والجماعية ، فليس التفسير مجرد معانٍ تجمع ، أو كلمات توضح ، أو جمل تعرب ؛ وإنما هو حكم وهدايات تستجمع لتستنير بها الأمة في مسيرتها، وتعالج به واقعها . فلابد أن يواكب التفسير روح عصره، ويعالج الكثير من قضايا الأمة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، بعيداً عن الحلول المستوردة التي لا تتوافق مع هدي الكتاب المجيد ، وهكذا كان الجيل الأول يتعامل مع القرآن وفهمه ، بل ينبغي توظيف هدايات القرآن الكريم

في تزكية العلوم الإنسانية كعلم التربية ، والاجتماع ، والنفس وغيرها ، فنحن ندرس التفسير ليلبي حاجة عصرنا، ويسهم في إصلاح واقعنا، لا تفسيراً لا يضيف لحياتنا جديداً ، وهذه تعتبر ميزة خاصة يتميز بها المفسر المصلح عن غيره.

فمهمة المفسر أن يصنع من خلال تفسيره آليات العلاج ، وينزلها قوالب عمل تترجم المعاني في واقع الحياة ، فنحن لا نريد قرآناً يتلى في افتتاح المجالس تبركاً فحسب ؛ وإنما نريد قرآناً يفتتح المجالس والمحافل والمصانع والمدارس بهديه ونوره وتعاليمه ، ولتحقق مقاصده ومبادئه وقيمه الأخلاقية .

إن انفصال المفسر عن واقعه وقضايا أمته ومتطلباتها خلال ممارسته للتفسير يجعل مهمته تنحصر في استنباط الحكم ، وتجعله مقصراً في جعل القرآن واقعاً معاشاً، أو شفاء لواقع عليل ، فالقرآن عندما يحكي واقعاً لأمة فإنما يريد منا أن نعتبر وأن نأخذ بسنن النصر ونتجنب سنن الهلاك ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الأعراف:١٧٦)، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١).

فبعد التتبع والاستقراء لكثير من كتب التفسير وجدت كثيراً من علماء التفسير قديماً وحديثاً قد بذلوا جهوداً كبيرة لربط معاني القرآن بالواقع ، وحاولوا أن يقدموا لأمتهم نصائح وتوجهات وحلولاً من خلال

تفاسيرهم ، وحذروا من مخاطر مهلكة ؛ وفتن قادمة ؛ ولكن حجم هذا الاهتمام يختلف من عالم لآخر، كما اختلفت طريقة كل عالم في محاولات الربط وطريقة التعبير في التأصيل أو الرد والتصدي للانحرافات الموجودة والشبه المثارة، مثال ذلك: عندما انتشر التعصب المذهبي ، واستحكم الغزو الفكري في عالمنا الإسلامي ، وصعد من وسائله ، وحكمت القوانين الوضعية بدلاً عن الشريعة الإسلامية ، ونشأت مناهج الحياة في بلاد المسلمين على أسس غير إسلامية ، حاول بعض علماء التفسير تناول هذا الموضوع من خلال تفاسيرهم وتفنيد أفكارهم الضالة ، ومواجهتهم ، ووقاية المسلمين من شرورهم ، يقول الشنقيطي ــ رحمه الله ــ: «اعلم يا أخي أن هذا الإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واعتقاد الاستغناء عنهما بالمذاهب المدونة الذي عمَّ جُل من في المعمورة من المسلمين من أعظم المآسي والمصائب، والدواهي التي دهت المسلمين من مدة قرون عديدة . ولا شك أن النتائج الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن الكتاب والسنة من جملتها ما عليه المسلمون في واقعهم الآن من تحكيم القوانين الوضعية المنافية لأصل الإسلام، لأن الكفار إنما اجتاحوهم بفصلهم عن دينهم بالغزو الفكري عن طرق الثقافة وإدخال الشبه والشكوك في دين الإسلام. ولو كان المسلمون يتعلمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويعملون بما فيهما لكان ذلك حصنا منيعا لهم من تأثير الغزو الفكري في عقائدهم ودينهم ولكن لما تركوا الوحي ونبذوه وراء ظهورهم واستبدلوا به أقوال الرجال ، لم تقم لهم أقوال الرجال ومذاهب الأئمة رحمهم الله مقام كلام الله

والاعتصام بالقرآن ، وكلام النبي ﷺ والتحصن بسنته. ولذلك وجد الغزو الفكري طريقا إلى قلوب الناشئة من المسلمين ، ولو كان سلاحهم المضاد القرآن والسنة لم يجد إليهم سبيلا...وبالجملة فمما لا شك فيه أن هذا الغزو الفكري الذي قضى على كيان المسلمين ، ووحدتهم وفصلهم عن دينهم ، لو صادفهم وهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله لرجع مدحورا في غاية الفشل لوضوح أدلة الكتاب والسنة، وكون الغزو الفكري المذكور لم يستند إلا على الباطل والتمويه كما هو معلوم»[1]، ويقول كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾(الفرقان : ٦٧)، بعد كلام طويل جميل: « ولا شكّ أنه يلزم المسلمين في أقطار الدنيا التعاون على اقتصاد يجيزه خالق السماوات والأرض، على لسان رسوله ﷺ، ويكون كفيلاً بمعرفة طرق تحصيل المال بالأوجه الشرعية، وصرفه في مصارفه المنتجة الجائزة شرعًا؛ لأن الاقتصاد الموجود الآن في أقطار الدنيا لا يبيحه الشرع الكريم لأن الذين نظموا طرقه ليسوا بمسلمين، فمعاملات البنوك والشركات لا تجد شيئًا منها يجوز شرعًا، لأنها إما مشتملة على زيادات ربوية، أو على غرر، لا تجوز معه المعاملة كأنواع التأمين المتعارفة عند الشركات اليوم في أقطار الدنيا، فإنك لا تكاد تجد شيئًا منها سالمًا من الغرر، وتحريم بيع الغرر ثابت عن النبيّ ﷺ، ومن المعلوم أن من يدّعي إباحة أنواع التأمين المعروفة عند الشركات من المعاصرين أنه مخطئ في ذلك، ولأنه لا

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٣٧٨).

دليل معه بل الأدلّة الصحيحة على خلاف ما يقول، والعلم عند اللهَّ تعالى»[1]، وقد جمعت عشرات الأمثلة ثم تركتها خشية الإطالة، وقد رأيت أنه موضوع يحتاج أن يفرد بعدد من الدراسات يبرز من خلال كل دراسة جهود كل مفسر في هذا المجال ما تميز به [2].

المطلب العاشر : الأسئلة والإشكالات التفسيرية :

وهي طريقة من طرق البيان المشوقة استخدمها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾(الفرقان:٣٣) قال ابن كثير ــ رحمه الله ــ : «﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي : بحجة وشبهة ﴿ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ أي: ولا يقولون قولا يعارضون به الحق، إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصحُ من مقالتهم»[3]، فمنهج القرآن رد الشبه التي يثيرها أعداء الإسلام، والإجابة على ما يطرأ من أسئلة وإشكالات .

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ١٩٩).

(٢) وقد وقفت أخيراً على رسالة علمية قيمة يمكن الاستفادة منها، فازت بجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، بعنوان " تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، دراسة وتطبيق " للشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر ؛ وهي رسالة ماجستير نوقشت في قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى .

(٣) تفسير القرآن العظيم ابن كثير (٦/ ١٠٩) .

وهي طريقة استخدمها علماء التفسير كثيراً في تفاسيرهم منهم : الزمخشري، وابن العربي ، والرازي ، والقرطبي ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وابن كثير، والسمين الحلبي ، والألوسي والشنقيطي وغيرهم ، وفائدتها تسهم في ترسيخ المعاني ، وإزالة الإشكالات التي قد تطرأ بعد دراسة المعنى.

والمفسر يوفق من خلاله ما يطرح من تساؤلات وإشكالات بين معاني الآية أو السورة وما يطرأ من أسئلة وإشكالات لها أسباب كثيرة ، فقد يكون سبب الإشكال متعلق بالسياق، مثال ذلك قول ابن العربي بعد تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (الطلاق:٤) «فإن قيل: المراد بقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ المطلقات؛ لأنه فيهن ورد، وعلى ذكرهن انعطف . قلنا: عطفه على المطلقة لا يسقط عمومه ، ويشهد له ما بيناه من الحكمة في إيجاب العدة من براءة الرحم ، وأنها قد وجدت قطعا »[1] .

وقد يكون سبب الإشكال ما دل عليه معنى الآية ، يقول القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾(البقرة:١٤٤) «يريد اليهود والنصارى ﴿ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ يعني تحويل القبلة من بيت المقدس . فإن قيل: كيف يعلمون ذلك وليس من دينهم ولا في كتابهم؟ قيل عنه جوابان : أحدهما : أنهم لما علموا من كتابهم أن محمدا ﷺ نبي علموا أنه لا يقول إلا

(١) أحكام القرآن ، ابن العربي (١/ ٤١٣).

الحق ولا يأمر إلا به . الثاني : أنهم علموا من دينهم جواز النسخ وإن جحده بعضهم ، فصاروا عالمين بجواز القبلة »[1] ، وكقول ابن القيم في قوله تعالى : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾(الفاتحة:٦) «فإن قيل كيف يطلب التعريف والبيان وهو حاصل له وكذلك الإلهام والتوفيق؟ قلنا لقد أجيب عنها بأن المراد التثبيت ودوام الهداية»[2] ، وكقول ابن الجوزي ـــ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾(الناس:١) «فإن قيل لم خص الناس هاهنا بأنه ربهم وهو رب كل شيء؟ فعنه جوابان: أحدهما: لأنهم معظمون متميزون على غيرهم . والثاني: لأنه لما أمر بالاستعاذة من شرهم أعلم أنه ربهم ليعلم أنه هو الذي يعيذ من شرهم »[3] .

وقد يكون سبب الإشكال بما يظهر من مخالفة بين المعنى والواقع، يقول البغوي ـ رحمه الله ـ : «فإن قيل فما وجه قوله تعالى: ﴿ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(البقرة:١٨٦)، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ (غافر:٦٠) وقد يدعى كثيرا فلا يجيب؟ قلنا: اختلفوا في معنى الآيتين قيل: معنى الدعاء ههنا الطاعة ، ومعنى الإجابة الثواب ، وقيل : معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاماً، تقديرهما: ﴿ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ ﴾ إن شئت، كما قال: ﴿ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ ﴾ (الأنعام:٤١) أو أجيب دعوة الداعي إن

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (٢/ ١٦١) .

(٢) التفسير القيم ، ابن القيم (١/ ١٣٣) .

(٣) زاد المسير في علم التفسير ،عبدالرحمن الجوزي (٩/ ٢٧٨) .

وافق القضاء أو: أجيبه إن كانت الإجابة خيرا له أو أجيبه إن لم يسأل محالا»[١]، وكقول أبي حيان في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(الأنعام:٢٧)، قال: «وأورد بعضهم هنا سؤالاً فقال: فإن قيل كيف يتمنون الرّد مع علمهم بتعذر حصوله؟ وأجاب بقوله: قلنا لعلهم لم يعلموا أن الرد لا يحصل. والثاني: أن العلم بعدم الرد لا يمنع من الإرادة كقوله: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (المائدة:٣٧)»[٢] .

وقد يكون سبب الإشكال ما يظن من تعارض مع آية أخرى أو حديث كقوله تعالى عن يوم بدر: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾(الأنفال:٩) مع قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾(آل عمران: ١٢٤)، قال ابن كثير – رحمه الله –: «فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية –على هذا القول–وبين قوله تعالى في قصة بدر: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال:٩–١٠) فالجواب: أن التنصيص على الألف هاهنا لا ينافي الثلاثة

(١) معالم التنزيل ، البغوي (١/ ٢٠٥) .

(٢) البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (٤/ ٨٣) .

الآلاف فما فوقها لقوله:﴿ مُرۡدِفِينَ ﴾ بمعنى يَرْدَفُهم غيرُهم ويَتْبَعهم ألوف أخر مثلهم»[1]، وهذا الموضوع وجد عناية كبيرة عند علماء التفسير يحتاج أن يفرد برسائل علمية .

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٢/ ١١٢) .

الخاتمة :

من خلال الدراسة السابقة للموضوع توصل الباحث إلى النتائج والتوصيات التالية:

أ/ نتائج البحث :

من أبرز النتائج التي خرج بها هذا البحث ما يلي :

١. القرآن الكريم هو الذي بنى حضارة الأمة ومجدها يوم أن أحسنت التعامل معه فهماً وعملاً، وهو الذي سيبني مجدها في حاضرها ومستقبلها متى ما أحسنت الأمة التعامل معه.

٢. المداخل التي درس من خلالها العلماء معاني الآية أو السورة كثيرة ومتنوعة، والوقوف عليها وتطبيقها مطلب مهم للمفسر؛ لأنه كلما أحسن المفسر مداخل التفسير ، وحسن تطبيقه لخطواته ، وتوسعت ثقافته زاد فهمه للقرآن الكريم وعلومه.

٣. إنَّ مداخل وعناصر التفسير التي استقرت اليوم مع تنوعها تطورت بصورة مطردة ، فلم تجتمع كلها في عصر واحد ، بل كانت هنالك عناصر ومداخل مُنكرة في بعض الفترات، وكان هنالك تخوف في طرحها، ثم أصبحت عنصراً مهماً في التفسير له مكانته وأهميته في عصر آخر مثل علم المناسبات.

٤. التفسير اليوم بحاجة إلى دراسات تأصيلية، ليس فقط في الطرق والاتجاهات بل في المداخل والخطوات التفسيرية ، وأولوياتها ، وطرق توظيفها فهي لم تحظ بدراسات كافية .

٥. تناول العلماء للتفسير انقسم في جملته إلى: تفسير القرآن من خلال مدخل واحدٍ من مداخل التفسير، والآخر: تفسير القرآن من خلال مداخل متنوعة من علوم التفسير ، وبقدر تعدد المداخل تنوعت وتعددت الخطوات.

٦. العلماء الذين فسروا القرآن من خلال مداخل متعددة، تباينوا فيما بينهم بصورة كبيرة في حجم العناية بمدخل دون آخر، وفيما يقدم ويؤخر من مداخل حسب ثقافة كل مفسر وميوله واهتمامه وأهدافه التي أراد أن يخدمها من خلال تفسيره .

٧. العلماء الذين درسوا التفسير من خلال مدخل واحد تباينوا بصورة كبيرة من حيث استيعاب المدخل بكل مكوناته ، فتجد عند كل واحد تميزاً من جهة ونقصاً وعدم استيعاب لبعض الأوجه من جهة أخرى ، وذلك لاختلاف مقاصدهم من التأليف .

٨. المصنفات التي تناولت مداخل متعددة في التفسير صحبها نقص في مكونات تلك المداخل، وكفايتها، وأولوياتها ، كما أن التوسع والتفريع والإسهاب في تناول بعض المداخل مع ما أفاده من ثروة علمية أصبح بعضها عبئاً على التفسير وصارفاً عن هدايات القرآن الكريم.

٩. الدراسة لأي سورة من سور القرآن ينبغي أن تُسبق بمدخل عن اسم السورة وما ورد في فضلها وأحوال نزولها فإنها مفتاح عام لفهم السورة.

١٠. دراسة مقاصد السورة وأهدافها، ومحاورها وموضوعاتها ، عنصر

مهم من مداخل التفسير عند بعض المفسرين ؛ وهو يعين على فهم السورة ويوصل لدلالات دقيقة في المعاني.

١١. من أوائل المداخل لتفسير الآية أو السورة دراسة "المفردات والغريب"؛ لأنه لا يمكن فهم المعنى العام ، أو دراسة الأحكام التي وردت في الآية ، أو استنباط ما فيها من فوائد بدون معرفته.

١٢. دراسة التناسب بين الآيات من العلوم المهمة المقدمة في مدخل التفسير؛ لأنها تكشف للدارس الكثير من معاني القرآن ولطائفه وروائعه، وإهمالها بصورة عامة يؤدي إلى دراسة تفسيرية يشوبها النقص والخلل ، وهو يقدم في الأصل حتى على معرفة سبب النزول .

١٣. بيان المعنى العام للآية أو السورة من عناصر التفسير المهمة التي اعتنى به العلماء ؛ وذلك لأنه يجعل معاني القرآن الكريم في متناول الجميع ، ويمثل الحد الأدنى المطلوب فهمه من القرآن ، وهو يمهد لما يستتبع من دراسات تفصيلية للآية أو السورة ؛ كما أنه يعطي خلاصة الآراء والأفكار وفق الراجح والمختار، وهو أنسب أساليب التفسير للترجمة ، وعامة الناس.

١٤. دراسة ما ورد في الآية من أحكام عنصر مهم من مداخل التفسير اعتنى به عامة المفسرين ، وتوسعت فيه الدراسات حتى مثلت اتجاهاً في التفسير عرف بالاتجاه الفقهي .

١٥. استنباط المعاني الخفية التي تحتاج إلى نظر واجتهاد من المداخل المهمة التي وجدت حظها عند عامة المفسرين ؛ وهو علم يكشف المزيد من

أسرار هذا الكتاب التي لا تنقضي ، ويظهر جماليته التي لا تنتهي .

١٦. إظهار أوجه إعجاز القرآن الكريم وأساليبه البيانية التي حوتها الآية أو السورة من مداخل التفسير المهمة التي اعتنى بها بعض علماء التفسير؛ لأنها تظهر براهين الرسالة، وتنفي عن كتاب الله الريب ، وترقي المسلم في مدارج اليقين درجات ؛ وتعمق بصيرة المؤمن بالقرآن الكريم.

١٧. ربط الواقع بمعاني القرآن ، وجعل التفسير يقدم العلاج الشافي لمشكلات الأمة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الأهمية بمكان، لأننا في حاجة إلى تفسير يلبي حاجة العصر، ويسهم في إصلاح واقعنا، لا تفسيراً لا يضيف لحياتنا جديداً .

١٨. طرح الأسئلة والإشكالات التفسيرية ثم الرد عليها بصورة شافية ؛ من عناصر التفسير المهمة التي اعتنى بها العلماء ، لأنها ترسخ المعاني ، وتسهم في إزالة الإشكالات التي قد تطرأ بعد دراسة المعنى .

١٩. والخلاصة : أن تفسير القرآن الكريم ينبغي أن يتم وفق الخطوات العشر التالية: أن يبدأ مدخله للتفسير بدراسة أسماء السورة وفضائلها وأحوال نزولها ، ثم يبين مقاصدها وأغراضها وموضوعاتها ، ثم يدرس المفردات ومعاني الكلمات، ثم يبين المعنى العام ، ثم يدرس وجه التناسب بين الآيات، ثم يدرس الأحكام ، ثم يستنبط الفوائد والهدايات ، ثم يبين أوجه الإعجاز، ثم يربط المعاني بواقع حياة الناس، ثم يدفع ما يظهر له من أسئلة أو استشكال له تعلق بالآية أو السورة .

ب / توصيات البحث :

من خلال تلك النتائج السابقة يوصي الباحث بما يلي:

١. توجيه مؤسسات التعليم والتربية والدعوة ووسائل الإعلام على تصميم وتنفيذ البرامج المكثفة التي تسهم في ربط الأمة بالقرآن الكريم؛ حتى يكون حاكماً وموجهاً للحياة كلها.

٢. إنشاء مؤسسة علمية عالمية للقرآن الكريم تعمل على إعداد تفسير للقرآن وفق الخطوات السابقة التي تم التأصيل لها من خلال هذا البحث مع مراعاة أصح الطرق ،حتى نستطيع بناء تفسير فيه الدقة والشمول والتوازن ، ويستفيد من كل الجهود السابقة.

٣. إقامة دراسات وبحوث متعمقة عن كل عنصر من مداخل التفسير التي ذكرناها خلال هذا البحث ، يوضح من خلالها مفهومه ، وطرق تناوله، ودراسة تطبيقات العلماء له ، وما فيه من إيجابيات وسلبيات، مع طرح صورة مثلى لتطبيق كل عنصر .

٤. إعادة النظر في كثير من الأساليب التي يُدرس بها تفسير القرآن الكريم اليوم في مؤسساتنا التعليمية ـ خاصة المعاهد والجامعات ـ لتكون على أفضل طريقة تليق بمكانة القرآن ومنزلته وأهميته في حياتنا، فلا يقف المفسر عند حدود الأدوات أو يبعد الدارس عن هداية القرآن.

٥. إقامة مراكز تدريب للأساتذة والدعاة وطلاب العلم ليحسنوا التعامل مع طرق وخطوات التفسير، وكيف نحبب ونسهل تعلم القرآن للناس جميعاً .

وفي الختام نسأل الله الكريم أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ، ونور أبصارنا ، وقائدنا إلى الخير ،وأن يرزقنا فهمه والعمل به ، وأن ينفع بهذا الجهد كاتبه وقارئه في الدنيا والآخرة .

تم هذا البحث بفضله الله الكريم

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

فهرس المراجع

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز، ط:مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، ط١/ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م.
- أحكام القرآن ، لابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط: دار الفكر للطباعة ، بيروت ، بدون.
- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن على بن أحمد الواحدي، ط:دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .
- أسماء سور القرآن وفضائلها، للدكتورة منيرة محمد ناصر الدوسري ، ط: دار ابن الجوزي ، الدمام ط١ ١٤٢٦هـ .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي ، ط: دار الفكر للطباعة ، بيروت ، ١٤١٥هـ .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، ط: دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣م .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي ، ط: دار صادر ، بيروت ، ط١/ ٢٠٠١م .
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري ، ط : مكتبة العلوم الحكم ، المدينة المنورة ، طبعة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ،ط٣ .
- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، طبعة

جديدة بعناية زهير جعيد ، ط: دار الفكر ، بيروت ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .
- البداية والنهاية ،إسماعيل بن عمر بن كثير، ط: مكتبة المعارف، بيروت ، بدون تاريخ .
- بدائع الفوائد ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، تحقيق علي بن محمد العمران ، ط : دار عالم الفوائد ، مكة ، ط١/ ١٤٢٥هـ.
- البرهان في علوم القرآن ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : دار المعرفة ، بيروت ، ط / ١٣٩١م .
- البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران، للدكتور محمد عناية الله أسد سحاني، ط: دار عمار ، عمان ، ط١ / ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
- التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور، ط : دار سحنون ، تونس ، بدون .
- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير الدمشقي، ط: دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١هـ .
- تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ، تعليق وتصحيح سمير مصطفى رباب، ط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط١/ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
- التفسير والتأويل في القرآن الكريم ، د . صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ط: دار النفائس ، الأردن ، طبعة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .
- تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين ، د . عبد العزيز عبد الرحمن

الضامر ، ط: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠ م.
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ط : إدارة المطبوعات القصيم ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، ط : دار الفكر ، بيروت ١٤٠٥هـ .
- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق محمد إبراهيم الحفناوي ومحمود حامد عثمان ، ط: دار الحديث ، القاهرة ، طبعة : ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .
- زاد المسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط: المكتب الإسلامي،بيروت، ط٣ / ١٤٠٤هـ .
- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون .
- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، المؤلف : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني ، الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، ط١ / ١٣٤٤ هـ .

- سنن النسائي،أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي،ط: دار البشائر الإسلامية ، ط:١٩٨٦م.
- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ١٤٠٠هـ .
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط:رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ١٤٠٠هـ .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي بن عبد العزيز الشبل، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : دار السلام ، الرياض ، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميّة ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، طبعة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : محمد حامد الفقي، ط: دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٣ ه– ١٩٧٣م
- المستدرك على الصحيحين، الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري،

ط:دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ .

- مسند الإمام أحمد ، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ط : المكتب الإسلامي - بيروت ، ط/ ١٩٨٥م .
- مفاتيح الغيب للإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .
- المفردات في غريب القرآن ، أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني تحقيق وضبط محمد خليل عيتاني، ط: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه : محمد عبد الله نمر، ود. عثمان جمعة، وسليمان مسلم، ط: دار طيبة، الرياض ، ط١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- منهج الاستنباط من القرآن الكريم ، للشيخ فهد بن مبارك بن عبد الله الوهبي ، الناشر : مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي ، جدة ، ط١/ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، دراسة وتحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، ط : دار ابن عفان ، ط١ / ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات ، أحمد بن محمد الشرقاوي ، صدر هذا الكتاب آليا بواسطة الموسوعة الشاملة ، المصدر : موقع شبكة

مشكاة الإسلامية .

- النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ،اعتنى به وخرج أحاديث عبد الحميد الدخاخني ، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .